Journal of Arabic Literature (Jali) Vol. 6 No. 1 December 2024

AL-ASĀLĪB AL-BADĪ‘IYYAH FĪ KITĀB "NAWĀBIGH AL-KALIM" LI AL-ZAMAKHSHARĪ: DIRĀSAH TAḤLĪLIYYAH BALĀGHIYYAH

الأساليب البديعية في كتاب" نوابغ الكلم" للزمخشري: دراسة تحليلية بلاغية

Uthman Idrees Kankawi [1*]

[1] Department of Arabic and Transnational Studies, faculty of Arts, University of Ilorin, Nigeria
kankawi.ui@unilorin.edu.ng

Received: 21-04-2025

Revised: 25-04-2025

Accepted: 06-05-2025

Abstract: This study investigates the rhetorical patterns in Nawābighul-Kalim by Zamakhshari, a literary work composed after the author reached the age of 42 in the eighth-century Hijri. The book contains richly embellished expressions that reflect his personal experiences and are intended as sources of wisdom and moral instruction. The primary aim of this research is to examine selected themes from the text and identify the rhetorical techniques employed. Although Nawābighul-Kalim has received considerable scholarly attention in the domain of grammatical analysis, little has been done to explore its rhetorical depth. To address this gap, the study adopts a retrieval method for documenting historical facts about the author, an inductive method for identifying rhetorical features, and a descriptive approach for analysing selected themes. The findings reveal the use of diverse rhetorical devices, including assonance, alliteration, antithesis, analogy, euphemism, twist, and distribution. This research, titled "Figurative Styles in Nawābighul-Kalim by Zamakhshari: A Rhetorical Analytical Study," highlights the author's artistic and rhetorical mastery while also drawing attention to the significance of the work within scholarly and academic contexts, particularly its inclusion in higher education curricula.

Keywords: *Zamkhashari, Nawābighul-Kalim, Styles, Rhetorical Embelishments, Kankawi.*

المقدمة

كان كتاب " نوابغ الكلم " أو " النصائح الصغار" من أشهر كتب الشيخ أبي القاسم محمود بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي في أدب الحياة وفي فن الحكم، وقد اعتنى به القدامى والمحدثون من العلماء؛ فوضعوا له عدة شروح، منها: " النعم السوابغ في شرح النوابغ" لأبي حسن لسعد الدين التفتازاني، و" شرح ابن دهقان النسفي" المطبوع في مدينة روما سنة ١٨٧٢م بعناية هنريكوس، و" الشموس البوازغ في إضاءة مشكلات النوابغ" لعبد الرزاق المكتوبي، و" درر الدقائق ودرر الحقائق" للموفق بن المجد الخاصي و" لبائد الحكم شرح نوابغ الكلم" للشيخ عبد اللطيف أحمد حنبلي ميكبرا الإلوري، ٢٠٠٠م، و " روائع الحكم في بدائع الكلم" لعمر محمد الأول الإمام في نيجيريا. وقد حاكى السيوطي الزمخشري؛ فوضع كتابه " درر الكلم وغرر الحكم". وتتناول هذا البحث الدراسة التحلية البديعية البلاغية، بغية استخراج الظواهر البديعية من الكتاب، وذلك، لتبرير الإسهام البلاغي الذي يدل على قدرة الشيخ الزمخشري في التعبير الجميل الرائع. وتبدو أهمية هذا الموضوع من قلة الدراسات البلاغية لهذا الكتاب الذي جمع في طياته البدائع الحكمية الجليلة، والأفكار الميمونة التي تثبت الأخلاق

Corresponding Author: kankawi.ui@unilorin.edu.ng

الفاضلة في أوساط المسلمين، متمشياً على الكتاب والسنة. والبحث في طوله وعرضه مؤلف من مبحثين؛ المبحث الأول: نبذة تاريخية عن الشيخ الزمخشري، والثاني الأساليب البديعية في نوابغ الكلم؛ وفيه ستة محاور؛ وهي: أساليب الجناس، وأساليب السجع، وأساليب الطباق، وأساليب المقابلة، أساليب التورية، وأساليب الطي والنشر في نوابغ الكلم.

المنهج

الوحدة للتحليل لهذا البحث هي شخصية الزمخشري والأساليب البديعية في نوابغ الكلم، استخدم الباحث الطريقة النوعية في شرح البيانات، ومصدر البيانات هو كتاب نوابغ الكلم للزمخشري. استخدم الباحث تقنيات القراءة والتسجيل لجمع البيانات وطريقة الاستقراء لتحليل البيانات.

النتائج والمناقشة

نبذة تاريخية عن الشيخ الزمخشري

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي حنفي المذهب، ومعتزلي العقيدة (الذهبي،١٩٥٦م)، ولد في يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة للهجرة، الموافقة خمس وسبعين بعد ألف الميلادية في خلافة عبد الله المقتدي بأمر الله، وله في العمر إحدى وسبعون عاماً في التعديد السنوي الهجري وتسع وستون في التعديد السنوي الميلادي كما قال ابن أخته أبو عمر بن حسن السمسار(الزمخشري،١٩٥٣م).

كانت ولادته بزمخشري وهي قرية من قرى خوارزم (لويس،١٩٠٥م)، وكانت خوارزم دولة قديمة نشأت في آسيا الوسطى، يحدها بحر آرال شمالاً، وبحر الخزر غرباً، وبلاد مرو جنوباً، وبلاد تركستان شرقاً، وتتمتع بحضارة غنية ومتقدمة، تعتبر عاصمتها أورغونتش مركزاً تجارياً هاماً في القرن الرابع عشر الميلادين، وهي اليوم جزء من جمهوريتي أوزبكستان وتركستان (الإسكندري، وعناني،١٩١٦م).

ومن أشهر ألقابه، (جار الله)، و(الإمام)، و(فخر خوارزم)، و(علامة الدنيا)، و(فريد العصر)، و كنيته (أبو القاسم المعتزلي)، وكانت حياة الشيخ الزمخشري، نوراً يتبلور منه العلوم الدينية واللغوية، كان يحييها حال حياته، فأصبحت وفاته على أهل عصره بأسرهم، وعلى اللغة العربية سوء القدر. إذ قد اخترمته منيته في حين يتوافد عليه الناس من مشارق الأرض ومغاربها للاقتباس من نوره الوهاج. (شعبة التاريخ،١٩٦٧م).

وتوفي في ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة (٣٧٥م) الموافقة (١١٤٤م)، بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من ترحاله التعليمي بالمكة المكرمة، وللمؤلف شهرة فائقة في ميادين العلوم والفنون مثل: البلاغة والنحو، والعروض، والتفسير، وترك للجيل القادم أروع التراث النثر الفني وذلك في التعبير ببدائع الأقوال، وجوامع الكلم، فإن كتاب "نوابغ الكلم" من أجيد برهان أدبي للدلالة على شخصيته البلاغية، وانتمائه إلى مدرسة السجع والبديع في العصر العباسي الثالث (شعبة التاريخ، ١٩٦٧م).

قد كلفت هوية الشيخ الزمخشري التعليمة أن يغشي معان الأدب منذ نعومة أظفاره في طلب العلم حال حله وترحاله، وشديد الهمة في تطعيم ذوقه، وهو الذي أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة، فاجتمع عليه

الناس لجلالته. وتمذهبوا بمذهب المعتزلة (ابن خلكان، ١٩٧١م) .

نزل ببخاري، وبغداد أكثر من مرة، ورحل إلى مكة المكرمة، وأكثر لها المجاورة، وبذلك سمي جار الله، تلقى علوماً شتي، فأصبح بذلك عالماً عبقرياً، فذاً في اللاغة العربية، والنحو، واللغة، والأدب، والتفسير، والتوحيد، والفقه، وعلوم القرآن، والحديث. وآراءه في العربية يستشهد بها علماء اللغة لأصالتها، ودقتها، ولا سيما في ميادين البلاغة القرآنية وحتى يضرب به المثل في أنواع الفضائل (نزاز،٢٠٣١م) .

أخذ عن أبي مضر بن محمود بن جرير الضبي الأصفهاني، وأبي الخطاب بن نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر البغدادي، البزاز القارئ، مسند العراق، وأبي السعد بن المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، وأبي منصور بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الجواليقي، إمام الخليفة المقتفي، وعبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري، وأبي الحسن على بن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي، ولازم أبا سعد السقاني وجماعة من الأساتذة الفضلاء، وغيرهم.

وكان يشد ركاب الطلب إلى خرسان مراراً عديدة، وكلما ضاقت عليه القضايا العلمية؛ ذهب إلى جوار بيت الله الحرام، متخذا بيت الله العتيق محط الرجاء لحل معضلات العلوم، ومختبئاً للقضاء على مهماته التأليفية، في هذا المكان المقدس ألف كتابه "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ذلك التفسير الذي أثنى عليه العلماء بقولهم: " لولا الكوسج الأعرج لبقي القرآن بكراً" (الزمخشري، ١٩٥٣م) .

كان الزمخشري أديبا، شديد الذكاء، متوقد الذهن، جيد القريحة، وبعيد التفكير، وعجيب التعبير في عارضته الكلامية، وشاعرا مجيدا يظهر في أشعاره مدى موهبته الشعرية الملهمة، لاسيما إنتاجاته الطبية، وركناً وطيداً، يلجأ إليه هواة العلوم. فقد أثنوا عليه العلماء قديما، وحديثا على علمه، وفضله. وحين قدم إلى بغداد قاصد الحج زاره الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجري، مهنئاً له بقدومه (العماري، وسويلم،١٩٨٨م).

الأساليب البديعية في نوابغ الكلم

لا يزال فن البديع علما يعرف به وجوه الكلام، ومزاياه، وهو الذي يزيد الكلام حسنا، وطلاوة، وتكسوه بهاء، ورونقا، بعد مطابقة الكلام لمقضي الحال، ولا يزال هذا الفن يثير القصايا الكثيرة في المسرح البلاغي من الأمس إلي اليوم، وله مذهبان: فالمذهب الأول؛ فيمثله القدماء من الشعراء كبشار بن برد، وتلاميذه كالعتابي، ومنصور النمري، ومسلم بن الوليد، وأتباعه كأبي تمام، والبحتري، ومن النقاد: الجاحظ، وعبد الله بن المعتزلي في عصر عبد القاهر الجرجاني، ومعاصريه كابن سنان الخفاجي، وابن رشيق، ومن يليهم، أمثال الشّيخ الزمخشري، وابن الأثير، والفخر الرازي، وحمزة العلوي، هؤلاء جميعهم كانوا يعتقدون أن علم البديع هو الصورة المبتكرة من كلّ باب من الفنون البلاغيّة التي تمكن الأديب من حصافة العقل، ودقة الفكرة، ولطافة الخيال، وعلم البديع يشتمل العلوم

البلاغية الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع (عبد العزير،٢٠٢١م).

وأمّا المذهب الثّاني، فقد ظهر على أيدي الشّعراء والعلماء أمثال: أبو يعقوب يوسف السكاكي، وبدر الدين بن مالك، والخطيب القزويني، ومن الشّعراء نرى صفي الدّين الحلي، ثم جلال الدّين السّيوطي، فهؤلاء جميعهم جعلوا مباحث البلاغة في ثوبها الجديد بتقسيمها إلى ثلاثة أنواع: فالفنّ الأوّل؛ علم المعاني، والثّاني؛ علم البيان، والثّالث؛ علم البديع (الكرخي، ١٩٦٣م).

ولعلنا في هذه اللمحة اليسيرة، ندرك مدى التّفكير البلاغي تجاه فنّ البديع عند العلماء، ومن أظهر البراهين التي تدل على انتماء الزمخشري إلى الطائفة القديمة، وأصحاب المذهب الأول قوله: في مقدمة كشافه، حيث جعل فهم أسرار القرآن في فهم علم المعاني والبيان، وكان مع الّذين جعلوا مباحث علم البديع في علمي المعاني والبديع (شيخون، ١٩٩٢م) .

كانت الأساليب البديعيّة أظهر المظاهر البلاغيّة في كتاب "نوابع الكلم" وكانت هذه الأساليب البديعيّة من خير ما تزين بها الكتاب، وترمي إلى قوة الأداء في التعبير، وحصافة العقل، ودقة الفكرة، ولطاقة الخيال في تحسين الجانب اللفظي والمعنوي من الكتاب .

وقد رسخ الإمام الزمخشري ألوانا متنوعة من البديع في هذا الكتاب، لفظية، ومعنوية، من جناس، وسجع، وطباق، ومقابلة، وتورية، وطي ونشر، ولتفصيل حاسم لبيان هذه الألوان البديعيّة، أجعل كلّ فن من هذه الألوان البديعية محورا مع تقديم المباحث البديعيّة اللفظيّة على المعنوية.

أساليب الجناس في نوابغ الكلم: الجناس والتّجنيس والمجانسة والتّجانس كلّها ألفاظ مشتقة من الجناس لكلّ ضرب من النّاس، والطّير، والعروض، ولقد عرفه ابن المعتر "هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر، وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السّبيل الّتي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها" (أحمد،١٩٩٤م)، وقد أدل ابن سيده في المحكم إلى الاستعمال الاصطلاحي للجناس بقوله: "وهو مشتق من حروف الجنس، لأن كلا من اللفظين المتجانسين من جنس الآخر(الهاشمي،٢٠٠٠م)، وهو إذا، أن يتفق اللفظان في النطق، ويختلفا في المعنى، وهو قسمان تام، وغير تام، فالجناس صورة من الأساليب في تزيين الكلام، وقد استطاع الشّيخ الزّمخشري أن يجري هذه الصّورة البديعيّة في إيراد الكلام، بطريقة يظهر فيها مكانة الشّيخ الزمخشري في معرفة معنى الكلمات القريب والبعيد، والمتشابه، مع مراعات الالتئام، وفيه قسمان الجناس التام و الجناس التام المماثل الفعلي.

الجناس التّام، هو اتفاق الكلمتين في نوع الحروف، وفي عددها، وفي هيئتها، وفي ترتيبها، فقد عثرنا على ما في الكتاب من الجناس التّام بأوجهه الثّلاثة؛ المماثل، والمستوف، والمركب، وفيه وجهان: الوجه الأول الجنس التّام المماثل، فهو أن يتفق اللفظان في نوع الكلمة، بأن يكون اسمين، أو فعلين، أو حرفين، ولهذا الوجه أنواع ثلاثة (المراغي،١٩٩٣م)، وفيه ثلاثة أنواع. النوع الأول: الجناس التام المماثل الاسمي، وهو أن يتفق اللفظان في نوع الكلمة، والكلمة تكون اسمية. ومن أمثلة ذلك، في كتاب "نوابغ الكلم" ما يأتي: " لم يبق في الناس ودك، شرّ من الضحاك ودك" وقوله: "ما

كثرة المقالة، بعثرة مقالة"، وقوله: "ما للفساق من حميم غير غساق وحميم"" وقوله: فناك يا مفتون، وإن أفتاك المفتون"، وقوله: "فالق الحب والنوى، خالق الحب والنوى" وقوله: "طعم الآلاء، أحلى من المنّ، وهو أمر من اللآلاء مع المن", وقوله: "آمن بالأمين ابن آمنة، تأت يوم الفزع بنفس آمنة"، وقوله: " طلب الثناء بالمجان، من عادة المجان"، وقوله: "كل وزير موسى، إلا وزير موسى"، وقوله: "أعمالك نية، إن لم ينضجها نية" (الزمخشري،١٩٣٥م)، ونلمع في جميع هذه الأمثلة أنها في كلّ لفظين، اتفاق في نوع الحروف، والعدد، والهيئة، والترتيب، والاسميّة، وفي المثال الأول، فإن كلمة "ودك" الأول بمعنى الشّحم واللحم، والثّانية علم لأم ملك جائر، يقال له "ودك"، وفي المثال الثاني، "المقالة" الأولى بمعنى الكلام، والثانية بمعنى العفو، وفي المثال الثالث، فالحميم الأول يعني الخليل، والثاني يعني الماء الحار، وفي المثال الرّابع، المفنون الأول، يعني المجنون، والثاني يعني جمع المفتي، وفي المثال الخامس الحبّ الأوّل، فلق إذا شق وأخرج، والحب الثّاني هو المحبة والمودة، النّوى الأوّل، يعني جمع نواة، والثّاني بمعنى الفراق، وفي المثال السّادس، الآلاء الأول بمعنى النّعمة، والثّاني بمعنى اسم شجر حسن المنظر مر المطعم، والمنّ الأوّل يعني السهد والعسل، والثّاني بمعنى تعداد ما فعله الإنسان لغيره من الخير على وجه التوبيخ، وفي المثال السابع فكلمة آمنة اسم لأم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والثّانية بمعنى ذات الأمن والاطمئنان في القلب، وفي المثال الثّامن، المجان الأوّل بمعنى عدم التعب والمشقة، والثّاني بمعنى الجنون، وفي المثال التاسع، فموسى الأول آلة من فولاذ يحلق بها، والثاني يعني نبي الله موسى عليه والسّلام، وفي المثال العاشر فالنية الأولي غير المطبوخ، والثانية بمعني العزيمة والقصد.

ولو تتبعنا هذه الأمثلة نرى أن كلّ عبارة تحتوي على لفظين متشابهين في النّطق، مختلفين في المعني، متشابهين في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها، وفي الاسمية، ويقال لمثل هذا الجمال البديعي الجناس التّام لاتفاق اللفظين في الأمور الأربعة كما يقال له المماثل لاتفاقهما في الاسميّة.

النوع الثاني وهو الجناس التام المماثل الفعلي، ومن أمثلة هذا النوع قوله: "تفتق باللحم، حتى نفتق بالشحم" وقوله: "الشحيح، إذا رؤى زاده رؤي، وإذا لقي بالسؤال لقي"، وقوله: "لياليك مومسات، يرينك ببعض ما تهوي، ثم يرينك"، وقوله: "يا دنيا تحلين لأولادك، ثمّ تمرين، وتجلين بهم، ثمّ تمرين"، وقوله: "الشّريف من إذا غيب عنه، غيب" (الزمخشري،١٩٣٥م)

وقد جاء اللفظان في كلّ عبارات هذه الأمثلة، متفقين في نوع الحروف، والعدد، والهيئة، والتّرتيب، وفي الفعلية، ففي المثال الأوّل نرى " تفتق" الأول بمعنى تنعَّم وفي الثّاني بمعنى يتجشم، وفي المثال الثّاني، فكلمة "رؤي" الأولى بمعنى الارواء، وفي المرة الثّانية بمعني ابتلي، وبينما كان لفظ "لقي" الأوّل من الملاقاة، والثّاني من اللقوة وهي داء الفيل، وفي المثال الثّالث، فإن "يرينك" في المرة الأولى، بمعنى يظهرنك، وفي الثّانية، الغلبة، وفي المثال الرّابع، ترى فعل "تمرين" يدل على المرارة ضد الحلاوة في المرة الأولي، وفي المرة الثانية، تعني المرور والمجاورة، وأمّا في المثال الخامس فالفعل "غيب" في المرة الأولي يعني الغيبوية، وفي المرة الثّانية، تعني الغيبة،

ويتضح خلال النّظر الدقيق إلى هذه الصبغة البديعيّة، أن اللفظين من كلّ الأمثلة الواردة، متشابهان في الأمور الأربعة المتقدمة. وفعلان يتفقان في النطق، ويختلفان في المعنى.

والنّوع الثالث وهو الجناس التام المماثل الحرفي، يندر هذا النوع في الكتاب، وهو ما اتفق فيه اللفظان في الأمور مع الاتفاق في الحرفية، ومثال ذلك، قوله: "إن صح السرّ صحّ العلن، وان لم يصح فلن ولن" ، "فلن" الأول، يفيد جواب الشّرط، والثاني يفيد التوكيد، وهما متفقان في الأمور الأربعة والحرفية (الزمخشري،١٩٣٥م).

الوجه الثاني: الجنس التام المستوف، وهو أن يختلف اللفظان في نوع الكلمة، بأن يكون أحدهما اسماً، والآخر فعلا، أو أحدهما حرفا، والآخر اسما أو فعلا، وذلك بعد اتفاق اللفظ في الأمور الأربعة المتقدمة. ويتمثل هذا اللون. في قوله: "متى أصبح وأمسي ويومي خير من أمسي" وقوله: "من أرسل نفسه مع الهوى فقد هوى في أبعد الهوى"، وقوله: "المستهين بدين الله يزيد على ما فعله أبو معاوية يزيد" (الزمخشري،١٩٣٥م).

فالكلمات الأولى من جميع الأمثلة، أفعال، والكلمات الثّانية، أسماء، وفي الكتاب لونٌ آخرُ، وهو ما كان اللفظ الأوّل اسما، والآخر فعلا، ومثال ذلك قوله: "عند يمين من يمين، يزداد للمكذوب اليقين"، وقوله: "كم رأيت من أعرج في درج المعالي أعرج، ومن صحيح القَدم، ليس له في الخير قدم". وقوله: " لا مسك، ولا أناب أطيب من نسك من أناب"، وقد يلتحق بهذا اللون، ما كان أحد اللفظين اسم فعل، والآخر اسما، مثل: "شراك شراك وإن أردت الشراك" (الزمخشري،١٩٣٥م).

الوجه الثالث: الجناس التام المركب المتشابه، هو ما كان كلا اللفظين، أو أحدهما مركبا من كلمتين، مع اتفاق اللفظين في النطق والخط، فأوضع الأمثلة لهذا اللون قول مؤلف الكتاب: "عيني تقرّ بكم عند تقربكم" ، (فكلمة "تقرب" الأولى مركبة من فعل مضارع مضاعف، وحرف الجر، وكانت الكلمة الثانية غير مركبة، فقد تشابهتا في النطق، واختلفتا في المعنى، وكذلك تقول في قوله:"رب قول أوردك مورد القتال، أوردك مورد القذال" ولفظ " أوردك" فعل متعد، بمعنى أتاك، ولفظ " أو رددك" مركب من حرف عاطف للتخيير، وفعل ماض مضاعف، بمعنى رجع، وفي الكلمتين التشابه اللفظي دون المعنى. وكذلك في قوله: " إذا حصلتك يا قوت هان علي الياقوت" وقوله: "ولدك يقول مالك إرثي، وأخوك يقول مالك أرثي" (الزمخشري،١٩٣٥م) وفي المثال الأول فلفظ "ياقوت" مركب من حرف نداء ومنادي، واللفظ الثّاني المتشابه له، يعني حجر كريم، صلب، رزين، شفاف ألوانه (لويس،١٩٠٨م)، وأمّا المثال الأخير فاللفظ الأول منه وهو "مال" غير مركب، والثّاني مركب من "ما" الموصولية، وحرف الجر، ويتحقق الاختلاف بين اللفظين في المعنى دون النطق والخط.

وجاء في نوابغ الكلم لونٌ آخرٌ في هذا الوجه. وهو الجناس التام المركب المفروق. وهو ما كان كلا اللفظين، أو أحدهما مركب من كلمتين مع اختلاف اللفظين في الخط، وهو اللون غير بعيد عن اللون الأول سوى اعتبار الحظ. وقد أكسى الزمخشري بعض كلامه

بهذا الكساء البديعي في مثل قوله: " يا بُني ق فاك عما يقرع قفاك"، فاللفظ الأول مركب من فعل الأمر، وهو " ق" "وفا" بمعنى الفم، واللفظ الثاني غير مركب ويعني القافية، ولو أنعمنا النظر إلى اللفظين، نرى ما فيهما من وجوه الاختلاف في الخط والكتابة والمعنى، والاتفاق في النطق، وكذلك القول في قوله: "عض العدو أفعالك أشد من عض الأفعى لك"، (الزمخشري،١٩٣٥م)، فقد تشابه اللفظان في النطق سوى أن الأول غير مركب، وهو جمع فعل، والثاني مركب من اسم مقصورة لحية، وحرف الجر. واختلف اللفظان في المعنى والخط.

و القسم الثاني هو الجناس غير التام، وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأشياء الأربعة السابقة، وهو على أربعة أحوال؛ لأن الاختلاف إما في نوع الحروف أو في عددها أو في هيئتها أو في ترتيبها. وقد أظهر الإمام الزمخشري عبقريته البلاغيّة في حسن استعماله لهذا الأسلوب البديعي، ويبدو هذا، خلال بيان ما في هذا القسم من الجمال اللفظي البديع

الحالة الأولي: الاختلاف في النوع يعني إذا كان الاختلاف بين اللفظين في نوع الحروف، كان الجناس على ضربين: مضارع ولاحق.

الضرب الأول: وأما المضارع وهو ما كان الحرفان اللذان وقع بينهما الاختلاف متقاربين في المخرج، سواء أكانا في أول اللفظ، أو في وسطه، أو في آخره (أبو موسى،١٩٨٤م).

وقد تزين الكتاب بهذا الضرب في كثير من عباراته في مثل قوله: " المرء يقدم ثم يحجم، والنوء يثجم ثم ينجم" (الزمخشري، د/ت). وقوله: " اللحية حلية، ما لم تطل عن الطلية"، وقوله "عيش المجاهد جهيد، ورزق الزاهد زهيد"، وقوله: " إذا قلت الأنصار، كلت الأبصار"، وقوله: "لا تكن مسلما سريع التواني، كمسلم صريع الغواني" (الزمخشري،١٩٣٥م).

وحروف الثاء والنون في المثال الأول، واللام والطاء في المثال الثاني، والجيم، والزاء في المثال الثالث، والقاف والكاف في المثال الرابع، والسين والصاد في المثال الخامس؛ فالكلمات في كل هذه الأمثلة مختلفتان في النوع، إلا أنهما متقاربتان في المخرج. لأن كل لفظ مع قرينه في كل هذه الأمثلة خارجان من اللسان.

ومن أمثلة ما اختلف فيه اللفظان في النوع وتقاربا في المخرج قوله:" الغربان غربان والسودان سيدان. فالواو والياء مختلفان في النوع، لكنهما متقاربان في المخرج، لأنهما خارجان من الجوف. وقوله: " صنوان من منح سائله، ومنع نائله وضن" (الزمخشري،١٩٣٥م)، والحاء والعين مختلفتان في النوع، ومتقاربتان في المخرج، لأنهما خارجتان من الحلق، وقوله: " رب بكاء تصلية شر من مكاء وتصدية (الزمخشري، د/ت)، والباء والميم خارجتان من الشفة.

وأما الضرب الثاني وهو اللاحق، فهو ما كان فيه الحرفان المختلفان متباعدين في المخرج، أكان في أول اللفظ، أو في الوسط، أو في آخره، ويشم رائحة هذا الضرب البديعي من " نوابغ الكلم" حيث يقول الزمخشري: "الأب أعرق وأشرف والأم أرحم و وأرأف"، والعين والشين متباعدتان في المخرج، والأولي حلقية، والثانية لسانية، وقوله: "الكريم من ينشئ بارقة هطله، ولا يرسل صاعقة مطله"، والهاء والميم متباعدتان في المخرج، لأن الأولي حلقية، والثانية شفوية، وقوله: " أنث من النسوة، من اتخذ من النسوة أسوة"، والنون

والهمزة متباعدتان في المخرج، لأن الأولي شفوية، والثانية لسانية، وقوله: "ما للفساق من حميم غير غساق وحميم"، والفاء والغين متباعدتان في المخرج، لأن الأولي شفوية، والثانية حلقية، وقوله: "حبذ الوادق إذ رعد، والصادق إذا وعد" (الزمخشري،١٩٣٥م)، فالواو والصاد في كلمتي "الوادق" و "الصادق" متباعدتان في المخرج، فالأولي جوفية، والثانية لسانية، وأما الراء والواو في كلمتي "وعد" "ورعد" فمتباعدتان في المخرج، لأن الأولي لسانية، والثانية جوفية. ولا يفوتني في هذا الصدد الإشارة إلى أن هذا الضرب هو الأغلب في الاستعمال من الأساليب البديعية في هذا الكتاب

الحالة الثانية: الاختلاف في العدد، إذا وقع اختلاف اللفظين في عدد الحروف، بأن يكون أحدهما زائدا على الآخر، سمي الجناس الناقص وهو على ثلاثة أضر:

الضرب الأول: وهو الجناس المطرف. وهو ما كان فيه الزيادة في أول اللفظ. وقد ألبس الشيخ الزمخشري كتابه بكساء هذا الضرب في كثير من عباراته المحكّمة، حيث قال: "حري غير مطور حري أن يكون غير ممطور"، بزيادة الميم في أول اللفظ الثاني، وقوله: "من صدقت قطاته قلت سقطاته"، وذلك بزيادة السين في أول اللفظ الثاني، وقوله: " هذه طرائق ما فيها رائق، وخلائق غير هابق لائق"، بزيادة الطاء في أول اللفظ الأول وكذلك تقول في السطر الثاني من الجملة، وقوله:" الدخول في دارة الإسلام خلود في دار السلام"، بزيادة الهمزة في أول اللفظ الأول، وقوله:"الصناع جماهر، وقل فيهم من هو ماهر" (الزمخشري،١٩٣٥م)، بزيادة حرف الجيم في أول اللفظ الأول.

والضرب الثاني: وهو الجناس المكتنف وهو عند البلاغيين ما كان فيه الزيادة في وسط اللفظ"(الهاشمي،٢٠٠٠م). وهذا الضرب غير قليل من الكتاب حيث قال: " السوقية كلاب سلوقية"، بزيادة اللام في وسط اللفظ الثاني. وقوله: " ما لنفس مسلمة ولصفة مسيلمة"، بزيادة الياء في وسط اللفظ الثاني. وقوله:"صاحب القمار يغتنم ضوء القمر"، بزيادة ألف المد في وسط اللفظ الأول، وقوله:" المرء عنوان أمره، وعنفوان عمره"، بزيادة الفاء في وسط اللفظ الثاني. وقوله: كفاك عبرة، صدر فلان ثم صودر" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، بزيادة الواو في وسط اللفظ الثاني. وفي كل هذه الأمثلة نرى ما بين اللفظين من الفروق المعنوية التي أنشأته الزيادة الحرفية.

وأما الضرب الثالث: وهو الجناس المذيل، وهو ما كان فيه الزيادة في آخر اللفظ بحرف أو حرفين" (الجارم، وأمين، ٢٠٢٣م)، وهذا الضرب أيضا مؤثور عليه عند الزمخشري في كتابه "نوابغ الكلم" وقد قال: " الدخول في دارة الإسلام خلود في دار السلام" ، بزيادة التاء المربوطة في آخر اللفظ الأول، وقوله: " الفلاحة بالفلاح مصحوبة، والبركة على أهلها مصبوبة"، بزيادة التاء في آخر اللفظ الأول، وقوله: " بلي من النكد، بلاء ولولا منه لاء" (الزمخشري،١٩٣٥م)، بزيادة الهمزة في اللفظ الثاني، هذا بنسبة إلى الزيادة بحرف واحد.

وأما ما كان فيه الزيادة بحرفين فهو أيضا غير بعيد الوقوع في الكتاب في مثل قوله: "من لم يتق الحوب لم ينق له الحوباء"، بزيادة ألف المد والهمزة في آخر اللفظ

الثاني وقوله: "نظرت إليك السبعون وأنت سبع"، بزيادة الواو والنون في آخر اللفظ الأول. وقوله:" من متون البيض يؤخذ بيضات الخدور" (الزمخشري،١٩٣٥م)، بزيادة ألف المد والتاء المفتوحة في آخر اللفظ الثاني.

الحالة الثالثة: الاختلاف في الهيئة. فالحال الثالثة هي الاختلاف في الهيئة، والاعتبار البلاغي في هذه الهيئة إنما تكون في الحركات والسكنات، وفيها: ضربان، محرف ومصحف"(الغيني، د/ت).

وأما الجناس المحرف، وهو على حسب التعريف البلاغي، اختلاف اللفظين في الحركات والسكنات (القزويني،١٩١٦م)، وهذا الضرب كان مما أجرى عليه الزمخشري بعض كلامه منها، قوله: "ما وراء الخَلق الدميم إلا الخُلق الذميم"، وقوله: "أصحاب السلطان، أعظمهم خِطر وأعظمهم خَطر". وقوله: "الحيل مع الحوْل ولا تبتغي عنه الحوِل"، وقوله: مالكم تجمحون في الحكم يا حَكمة، أما يقدعكم من الحِكمة حكمة". وقوله: "أهيب وطأة من الأُسد من يمشي في الطريق الأَسد" (الزمخشري،١٩٣٥م)، فنظرة عابرة إلى جميع الكلمات التي يقع عليها الجناس، نتحقق أن ليس هناك شيء جعلها مخالفة سوى ظاهرة السكنات والحركات التي أدت إلى الاختلاف الظاهر في النطق والمعنى.

وأما الجناس المصحف، فهو ما اختلف فيه اللفظان نقطة. بحيث لو زال اعجام أحدهما أو كليهما لم يتميز أحدهما عن الآخر(التفتازاني،١٣٣٠هـ). وقد أدلى الزمخشري دلوه باستعمال هذا الضرب، وهو الجناس المصحف في "نوابغ الكلم" بطريقة يتجلى منها لباقته اللغوية الفائقة في مثل قوله: " الناس أكثرهم أغمار وان تنافست بهم الأعمار". وقوله: "العرب نبع، صلب المعاجم، والغرب مثل للأعاجم"، وقوله: "ما أدري أيهما أشقى، أ من يعوم في الأمواج أم من يقوم على الأزواج". وقوله: "رب زائر يزورك ويغاديك، وهو يكادحك ويعاديك"، وقوله: "إذا كثر الطاعون أرسل الله الطاغون". وقوله: "رب تكليم بالمقول أشد من التكليم بالمعول"، وقوله: "رب كلمة عند الناس فصيحة، وهي عند الله فضيحة" (الزمخشري،١٩٣٥م).

وجميع هذه العبارة مكتسية بكساء الجناس المصحف، وذلك أن جميع الكلمات التي كان تحتها الخط مختلف بعضها عن الآخر، بسبب النقطة الفارقة بين الكلمات، بحيث لو زيل اعجام أحد الكلمتين لم يتميز أحدهما عن آخر.

الحالة الرابعة: الاختلاف في الترتيب، قد يقع الجناس غير التام على الكلام لسبب الاختلاف بين اللفظين في الترتيب. ويطلق عليه جناس القلب وهو على أربعة أضرب (قاسم، وديب، ٢٠٠٣م).

الضرب الأول: فهو القلب الكلي، هو ما انعكس فيه الترتيب كلا، وكان هذا الضرب نادر الوجود في الكتاب، إلا إنه لم يكن ملغيا، ومثال ذلك قوله: "ما من دأب في الأدب أبد، كمن بدأ فيه وشد" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، كان ترتيب الحروف منعكسا، فالهمزة في أول اللفظ الأول، وهي الأخيرة من اللفظ الثاني، والباء في وسط اللفظ الأول، وهي صدر اللفظ الثاني، والدال في الأخير من اللفظ الأول، وهي من اللفظ الثاني في الوسط.

والضرب الثاني: وهو القلب الجزئي، وهو ما انعكس فيه الترتيب بعضا (الإلوري، ٢٠٢٢م). وقد

وجه الزمخشري اهتمامه بهذا الضرب الثاني أكثر من الأول حيث أورد كثيرا من الجمل بهذا الضرب الثاني، ومن أمثلة ذلك قوله: "دابة السوء إذا لحمت مرحت، وإذا مرحت رمحت" وقوله: "رب زعمات يسمين عزمات"، وقوله: "رب صدقة من بين فكيك، خير من صدقه من بطن كفيك"، وقوله: "لا يمش بالريبة مهينما، ولا تنس أن عليك مهيمنا"، وقوله: "قد أمن الحرمان من سأل الرحمان"، وقوله: " الناس أجناس، وأكثرهم أنجاس" وقوله: "من فني بالرهب، عني بالهرب" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، فالأمثلة في هذا الضرب كثيرة إلا أننا اقتصرنا خوف التّطويل الممل.

ولو نظرنا إلى تلك الأمثلة المذكورة، تر كيف حصل الاختلاف بين لفظي كلّ عبارة في الترتيب اختلافًا بعضيًا. وفي المثال الأول بين "مرح" "ورمح" وفي المثال الثاني بين "زعمات وعزمات". وفي الثالث بين " فكيك" و"كفيك" وفي المثال الرابع بين "مهينما" و"مهيمنا" وفي المثال الخامس بين "الحرمان" "والرحمن".. وفي المثال السّادس بين "أجناس" "وأنجاس". وفي المثال السّابع بين "الرهب" "والهرب." هذا، فإنه رحمة الله قد طرق هذا الضرب الجميل في بعض كلامه في الكتاب المدروس. وأحسن في الاستعمال مع اجتناب حشو الكلام.

والضرب الثالث: وهو الجناس المجنح، وهو مبني على الشعر لا محل له من النثر(اللادقي،٢٠٠٥م)، لذلك كان من المستحيل وقوع مثله في هذا الكتاب الفني النثري العباسي.

المحور الثاني: أساليب السّجع في نوابغ الكلم

اضطرب القدامى في تعريف السجع، هل هو مجرد اتحاد الفاصلتين في الروي أو الوزن فقط، أم أنّه لا يتأتي إلّا باتحادهما وزنا ورويا معا (أبو موسى،١٩٨٤م)، كما اختلفوا في صلته بعلم البديع، أ هو من أنواعه ومباحثه، أم خارج عن دائرته، وفي ميدانه أ هو مختصّ بالنّثر دون الشّعر، أو يأتي فيهما معا، (أحمد،١٩٩٤م). ويقول الفيروزابادي، والجوهري، والزمخشري، بأنه هو الكلام المقفّى، أو تركيب الكلام على رويٍّ واحد (العسكري،١٩٨٢م)، لذلك ترى القلقشندي في تعريفه للسّجع يقول: " هو تقفية مقاطع الكلام، من غير وزن(القلقشندي،١٩٢٩م). وابن الأثير، والقزويني يقولان: "هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد، وهكذا ابن يعقوب المعولي في مواهب الفتاح والروماني في نهاية الإيجاز للرازي (الرازي، ١٣٢٧هـ).

والسّجع من أبرز فنون البديع اللفظي، وأكثرها تألفا، وأقواها أثرا، وأسمعها صوتا، وأشيعها ذكرا، وأبرزها ميزة من مميزات مدرسة السجع والبديع في العصر العباسي، الجملتين، والكلام المسجع مكون من جملتين تسمى كل واحدة من الجملتين قرينة وفقرة، والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من كلتا القرينتين، والحرف الأخير من قرينة كما تسمى فقرة والفاصلة هي الكلمة من كلتا القرينتين والحرف الأخير من كلتا القرينتين هو حرف السجع (شيخون،١٩٩٢م)، وللسجع ثلاثة أنواع: مطرف، ومرصع، ومتوازي. وفي كتاب "نوابغ الكلم" أفيد الأمثلة من هذه الأنواع الثلاثة المذكورة .

النّوع الأول: السجع المطرّف، فالسجع المطرف هو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في التقفية (الهاشمي، ٢٠٠٠م)، ومن أوضح الأمثلة في هذا النّوع قوله: " السّوقية، كلاب سلوقيّة". فالقرينة الأولى هي السّوقية "والقرينة الثانية هي كلاب سلوقية" فقد اختلفت الفاصلتان وزنا دون القافية. وقوله: "العمل مع فساد الاعتقاد، مشبة بالسّراب والرّماد". وقد وقع الاختلاف بين الفاصلتين وزنا دون القافية. وهما " الاعتقاد" "والرّماد". وقوله: " لا تبادر بادي الرأي، فانظر البادي بعد لاي"، وقوله: " من كان أدب"، كان رحله أجدب"، وقوله: " أرضى الناس بالخسار، بائع الدين بالدينار"، وقوله: " التاجر مجده في كيسه، والعالم مجده في كراريسه". وقوله: "زينة الأرض بالعلماء، والكواكب زينة السّماء"، وقوله: " الصناع جماهر، وقلّ فيهم من هو ماهر" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، هذا، فإنه لا يخفى ما في جميع هذه الأمثلة من اختلاف الفواصل في الوزن، كما وقع بين "الرأي" "ولاي"، وبين "أدب" وأجدب"، وبين "الخسار" "والدينار"، وبين "كيسه " وكراريسه، وبين " العلماء " "والسماء" وكذلك فيما بين "جماهر" "وماهر."

النّوع الثاني: السّجع المرصّع، والمرصع من الأسجاع هو ما كان فيه ألفاظ إحدى القرينتين كلّها، أو جلها، مثل ما يقابلها من القرينة في الوزن القافية (البرقيمي،١٩٩٣م). ولقد عثرنا على هذا النوع أيضًا في كتاب نوابغ الكلم، وذلك في مثل قوله: " المرء يقدم ثم يحجم، والنوء يثجم ثمّ ينجم". وجميع ما في القرينة الثانية موافق لما يقابله من القرينة الأولى وزنا وقافية. فكلمة " المرء" توافق "النوء"، و" يقدم" توافق " يثجم" كما توافق كلمة " يحجم" كلمة " ينجم"، وهكذا القول في مثل قوله: " ما كثرة المقالة، بعثرة مقالة "، فلفظ "كثرة" يوافق " عثرة "كما توافق " المقالة " " مقالة "، وكذلك قوله: "حبذا الوادق إذا وعد، والصّادق إذا وعد"، انظر كيف يقابل "الوادق" "الصّادق" و"رعد" و "وعد"، ومن هذه الأمثلة قوله: " الغربان غربان، والسودان سيدان" وقوله: " من تنازحت أمواله، ترازحت أحواله" ، وقوله: " الإسراف إتراف، والإسلاف إتلاف" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، فهذه كانت مرصعة لتوافق الفاصلتين، ومقابلة ألفاظ القرينة الثانية بالأولى.

النوع الثالث: السجع المتوازي، وهو ما اتفقت فواصله وحدها في الوزن والروي، لذلك كان أقل عبثا من الترصيع، وأخف جهدًا على الكتّاب، (أكنبي، ٢٠٢٤م)، وهو في كتاب نوابغ الكلم غير قليل، منها قوله: " عيش المجاهد جهيد، ورزق الزاهد زهيد "، وقوله " من كانت نعمته واصبة، كانت طاعته واجبة " وقوله " هجوم الأزمات، يفسحن العزمات"، وقوله: " شعاع الشمس لا يخفى، وسراج الحق لا يطفى"، وقوله: " آمن بالأمين ابن آمنة، تأت يوم الفزع بنفس آمنة "، وقوله: " صحة النسخة حديقة الحدق، وثقة الرواية أروي من الغدق" (الزمخشري، ١٩٣٥م).

وفجميع الأمثلة الواردة، نري فواصلها متوازية في الوزن والقافية، وفي المثال الأول فلفظ "عيش" من القرينة الأولى لا يوازي لفظ "رزق" في القافية من القرينة الثانية. والمجاهد لا يوازى "زاهد". بل المتوازية من الألفاظ هي الفاصلة وحدها، وكذلك القول في شأن بقية الأمثلة الواردة من كتاب نوابع الكلم."

المحور الثالث: اساليب الطباق في نوابغ الكلم، هو من أهم الصنائع البديعية، والمحسنات المعنوية، وهو الصبغ البديعي الذي كثر في أدبنا العربي بقسميه في جميع العصور الأدبية، فالطباق في اللغة، هو الموافقة، ويقال له المطابقة، والتطبيق، والمقاسمة، والتكافؤ، والتضاد، وفي عرف البلاغين هو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة(أحمد،١٩٩٤م). وليس المراد البلاغي بالمتضادين، جمع الأمرين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف، كالسواد والبياض، بل أعمّ من ذلك، وهو ما يكون بينهما تقابل، وتناف في الجملة، وقد يكون التقابل حقيقيا أو اعتبارا (مفتاح،١٩٤٢م). وللطباق أقسام كثيرة، حسب الاعتبارات البلاغية المختلفة، ومن حيث الإيجاب والسلب، ومن حيث الظهور والخفاء، ومن حيث اللطف، ومن حيث التدريج، وما يلحق بالطباق، ففن الطباق في كتاب " نوابغ الكلم" قد أدّى دوره في أداء المعنى الجليل.

النوع الأول: وهو طباق الإيجاب، فهو ما لم يختلف فيه الضّدان، إيجابا وسلبا، وقد يكون بين اسمين أو فعلين أو حرفين،(الهاشمي،٢٠٠٠م)، ومن أمثلة ذلك في" نوابغ الكلم" قوله رحمه الله: "زينة الأرض بالعلماء، والكواكب زينة السماء" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، فالطباق الإيجابي من اسمين يكون بين" الأرض والسّماء"، وقوله: "رقب القابض الباسط، وكن المقسط لا القاسط"، وقد جاء الطباق في تلك العبارة بين كلمتي "القابض والباسط" وبين "المقسط والقاسط"، هذا هو الطباق الإيجابي المركب، لأنه مركب من الطباقين في نفس العبارة الواحدة عند أعلام البلاغة، وقال الزمخشري أيضا: " صعود الآكام وهبوط الغيضان، خير من القعود في الحيطان"، هناك مطابقة بين "صعود و"هبوط" والكتاب له حسن المعاني في التعبير الجميل بالطباق الإيجابي الاسمي. ولا يخفى على البصير ما في الكتاب من وجه آخر من هذا النوع، وهو الطباق الإيجابي الفعلي، وقد وقع مثل هذا الوجه في كتاب نوابغ الكلم حيث قال: "رب زائر يراوحك ويغاديك، وهو يكادحك ويعاديك"، وقد وقع الطباق الإيجابي الفعلي بين " يراوحك" " ويغاديك "، ومثال آخر، هو قوله: " متى أصبح وأمسي، ويومي خير من أمسي (الزمخشري، ١٩٣٥م)، في الأمثلة الطباق الإيجابي الفعلي بين كلمتي "أصبح" و" أمسي"، كذلك الأمر في قوله: "يا دنيا تحلين لأولادك، ثم تمرين، وتحلين بهم، ثم تمرين"، وقع الطباق الإيجابي الفعلي بين " تمرين" الذي يعني المرارة، وكلمة "تحلين" من الحلو. وأما الطباق الإيجابي الحرف فليس له وجود في نصوص كتاب نوابغ الكلم.

النوع الثاني: وهو طباق السلب، وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا، وسلبا، وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت، ومنفي، أو أمر، ونهي، ويأتي في الأسلوب الخبري، والأسلوب الإنشائي (الهاشمي٢٠٠٠م). وأما أسلوب الزمخشري في استعمال هذا الوجه في الكتاب، كان مقصورا على الأسلوب الإنشائي دون الخبري، وذلك في مثل قوله: " خذ ما هو لدينك وعرضك أصون، ولا تأخذ بما هو عليك أهون"، وقوله: "كن صاحب القرآن، ولا تكن صاحب قران" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، وقد اعتمد الزمخشري الطباق في المثالين على الأسلوب الإنشائي في كلمتي

"خذ" "ولا تخذ" في المثال الأول، وبين كلمتي "كن" " ولا تكن" في المثال الثاني، وقدم المؤلف صيغة الأمر على النهي في هذا الصدد، لتقدم صيغة الأمر على النهي في جملة أمور الدين والدنيا. وإذا اعتبرنا الطباق من حيث الظهور والخفاء، ينقسم الطباق إلى الطباق الظاهر والخفي، والظاهر هو مالا يحتاج إلى فهم ثاقب، وفكر حصيف، بل يُفهم بادي ذي بدء، مثل قوله: "قد جمع الأصل والفرع، من تبع العقل الشرع" وقوله: "الأمين آمن، والخائن خائن"، وقوله: " طعم الالآء أحلى من المن، وهو أمرّ من اللآلاء مع المنَّ" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، ولا يحار فهم الإنسان البليغ، والعادي في سرعة فهم ضدية الكلمتين اللتين وقع عليهما الطباق في جميع الأمثلة، بين " الأصل" " والفرع " في المثال الأول، وبين " الأمين" "والخائن" في المثال الثاني، وبين " أحلى" "وأمرّ" في المثال الثالث.

وأما الطباق الخفي، فهو ما يحتاج فهمه إلى تمعن، وفحص، ونظر، وسبر، وغور، وحصافة العقل، وفهم أسرار العربية، ومثال هذا الوجه موجود في كتاب نوابغ الكلم، لكنه نادر الوجود، كمثل قوله: "لا يعبأ المؤمن بشغب كل منافق، فكم من غير ساهق على جبل ساهق"، فالنفاق يطابق الإيمان، لأن النفاق يسب لصاحبه مثل ما يسبب الكفر لصاحبه وهو المصير إلى النار، وقوله: "عليك من يبذلك الإبسال والأبلاس، وإياك ومن يقول لك لا بأس ولا تأس" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، فقد وقع الطباق بين كلمتي "عليك" "وإياك". ولكن طريقة فهم مطابقتهما غير سهل، بل خفي، حيث لا يظهر هذا الخفاء إلا بعد الرجوع إلى الفكر النحوي، فالكلمة الأولى في معناها تحذير، والثانية إغراء، فبهذا المعنى يحصل الطباق الخفي في المثال السابق .

وهناك النوع الآخر من ألوان الطباق في كتاب نوابغ الكلم، وهو الطباق اللطيف، وهو أن يأتي مع الطباق صورة أخرى من صور البديع (أغاكا،٢٠٠٩م)، وما يبرهن بهذا النوع كثير من الكتاب، مثل قوله: " أقل من المهج أكثر هذا المهج " ، والطباق اللطيف في لفظي " أقل" " أكثر" وفي المثال نفسه إلي صورة بديعية أخرى من السجع والجناس في كلمتي المهج والمهج، وهو إذا، على حسب التعريف البلاغي للطباق اللطيف، ومثال آخر لهذا النوع، قوله: "يا دنيا تحلين لأولادك ثم تمرين" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، فإن الشيخ الزمخشري فد جعل الدنيا في صورة مأكول، ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو المرارة والحلو، وهذا هي الاستعارة المكنية، وقد أتت هذه الظهرة البيانية مع الطباق البديعي في كلام واحد، وهو بذلك الطباق اللطيف.

المحور الرابع: اساليب المقابلة في نوابغ الكلم، كانت المقابلة من المحسنات المعنوية، وقد عرفها السكاكي بقوله: "هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما، ثم إذا شرطت هنا؛ شرطت هناك شرطا ضده" (السكاكي،١٩٤٢م)، وقال القزويني : " ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة وهو أن يؤتي بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب" (القزويني،١٩١٦م)، وسماها قدامة بن جعفر صحة المقابلات، فتكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضا، وللمقابلة صور كثيرة جعلها بعصهم عشرا (أكنبي،٢٠٢٤م). فإن المقابلة

كانت من أجمل الصنائع البديعية تزين بها كتاب نوابغ الكلم، وأرجو أن اختار صورتين من بين تلك الصور المختلفة، كما ثبت استعمال الزمخشري لفن المقابلة في الكتاب المدروس.

الصورة الأولى، هي أن تكون المقابلة بين اثنين واثنين، ومن ذلك قول الزمخشري: "عيش المجاهد جهيد، ورزق الزاهد زهيد"، وقوله: "إن جمجم الباطل فأنت أسمع من سمع، وإن همهم الحق فكأنك بلا سمع"، وقوله: "اللئيم ملوم بكل لسان، والكريم مكرم في كل مكان"، وقوله: "الأمين آمن، والخائن خائن" (الزمخشري، ١٩٣٥م)، " فالمجاهد" في مقابلة "الزاهد" "وجهيد" في مقابلة "زهيد" كما المثال الأول، "وجمجم" في مقابلة "همهم" "والباطل" في مقابلة " الحق" كما في المثال الثاني، " واللئيم" في مقابلة " الكريم" "والملوم" في مقابلة "مكرم" كما في المثال الثالث، وفي المثال الرابع، نرى كلمة " الأمين" في مقابلة "الخائن" و" آمن" في مقابلة "خائن."

الصورة الثانية: هي أن تكون المقابلة بين الثلاثة، ومثالها من كتاب نوابغ الكلم قول المؤلف: "وان من منح سائله ومنّ، ومنع نائله وضن" وقوله: "العلم جبل صعب المصعد، ولكنه سهل المنحدر، والجهل منهل سهل المورد إلا أنه صعب المصدر" (الزمخشري، ١٩٣٥م)،

وفي المثال الأول، نرى أن كلمة "منح" في مقابلة "منع"، وسائله" في مثابلة "نائله"، ومن" في مقابلة "ضن"، وفي المثال الثاني كانت كلمة "العلم" في مقابلة "الجهل"، " وصعب المصعد" في مقابلة "سهل المورد"، وسهل المنحدر" في مقابلة "صعب المصدر."

وقد أتى الشيخ الزمخشري بالمقابلة في ثوبها المناسب لعرض بعض كلامه الحكمي البليغ فأحسن في العرض والأداء بطريقة واضحة ميمونة.

المحور الخامس: أساليب التورية في نوابغ الكلم،

كانت التورية من أروع الصنائع البديعية المعنوية، وهي مصدر "روي" بتضعيف الراء تورية، وهي في اللغة، الستر والإخفاء، وفي اصطلاح البلاغين (ملياني،٢٠٢١م) هو "أن يطلق لفظ، له معنيان، قريب وبعيد، ويراد البعيد اعتمادا علي قرينة خفية"، والمراد بالقرب والبعد، قريب الفهم وبعيده، والمراد بالمعنيين أكثر من معنى(السكاكي،١٩٤٢م)، وليست التورية من أسهب الفنون البديعية في الاستعمال والتطبيق للكتاب والشعراء، كما كانت بعيدة الفهم لمعظم الناس، ولعل ذلك كان مما جعل الكسائي أن أخطأ، ولم يفهم التورية حين سأل الرشيد عن هذا البيت:

فقتلوا ابن عفان الخليفة محرما

ودعا ولم أر مثله مخذولا

فقال الكسائي: "كان محرم بالحج حين قُتل، فانتقده الأصمعي بقوله: " فللفظ "محرما" له معنيان، محرم بالحج، وهو الظاهر القريب غير المراد، والبعيد وهو حرمة الإسلام وهو المراد، والقرينة الخفية هي "ودعا ولو أر مثله مخذولا"، أي استنصر قومه المسلمين ولم يجبه أحد (البرقيمي١٩٩٣م)، فإن الشيخ الزمخشري قد قام بتطعيم كتابه بفن التورية من هذا النوع، ومثال ذلك قوله: " مثل الصحابة وسابعهم، كمثل أصحاب الكهف ورابعهم" (الزمخشري،١٩٣٥م)، وقد يظن غير مدرك سرِّ التورية من هذه العبارة، فيقول إن الزمخشري

يضمر في قلبه حقدا للخليفة السابع، أو أراد أن ينال من شرفه، أو هو يذمه لتشبيه الرابع بسابع أصحاب الكهف، وهو الكلب، وكان الكلب مما يشبه به في منتهى الاحتقار، كلا، بل ألف كلا، فإن الإمام وطريقته في هذه العبارة هي التورية، فلفظ "سابعهم" له معنيان، المعني الأول الظاهر القريب هو صفة مشبهة من الأربعة، وهو غير المراد، والمعني الثاني الخفني البعيد هو بمعني شاتمهم وسابهم وهو المراد، والقرينة الخفية هي كلمة "رابعهم". ولعله من الجدارة والأمانة العلمية أنه رحمه الله لم يكثر في استعمال هذه الظاهرة البديعية (التورية)، والقليل خير من العدم.

المحور السادس: أساليب الطّيّ والنشر في نوابغ الكلم، كان فنّ الطي والنشر من الفنون البديعية المعنوية، عمد إليه الزمخشري في بعض حكمه في نوابغ الكلم، والطي والنشر، هو أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل من أفراده، شائعا من غير تعيين، اعمادا على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحد منها، وردّه إلى ما هو له، وقد يكون النشر فيه علي ترتيب الطي أو على خلافه (اللادقي، ٢٠٠٥م). والمأثورة عليه في الكتاب المدروس، هو ما يكون النشر فيه على ترتيب الطي، كمثل قوله رحمه الله: " مخايل الغم والمسرة، تبكي وتضحك من أسره"، وقد جمع الإمام بين " الغمّ" و" المسرّة"، ثم ذكر " تبكي" للغمّ، و" تضحك للمسرة على الترتيب، وكذلك قوله: " قرنت المسرة والمساءة بالإحسان والإساء"، وقد جمع يين المسرة والمساءة، ثم ذكر الإحسان للمسرة، والإساءة للمساءة، وقوله: " البأس والحلم حنيفي وأحنفي، والدين والعلم حنيفي وحنفي" (الزمخشري،١٩٣٥م)، فهذه العبارة كانت من أعجب العبارات في هذا الكتاب، لتركيبها على مظاهر بلاغية متعددة، فإن فيها التشبيه البليغ، والسجع، والجناس، مع ذلك لم يخل من الطي والنشر. وبيان ذلك أنه جمع بين البأس والحلم، ثم ذكر حنيفى مشبه به للبأس، وأحنفى مشبه به للحلم، كما جمع بين الدين والعلم، ثم ذكر حنيفي مشبه به للدين، وحنفي مشبه به للعلم على الترتيب.

الخاتمة

بعد التطواف على موضوع البحث وما اندرج تحته من المباحث والمحاور،كشفت هذه الدراسة عن البعد البلاغي العميق لكتاب نوابغ الكلم للزمخشري، من خلال تحليل فني دقيق لأبرز الأساليب البديعية التي وظفها المؤلف. وقد تبين ثبوت نسبة الكتاب إليه، مع كثرة الشروح اللغوية، وقلة الدراسات البلاغية التي تناولته. وأبرز ما توصلت إليه الدراسة هو أن الفنون البديعية، وعلى رأسها الجناس، تشكّل محورًا مركزيًا في البناء الأسلوبي للكتاب، إذ تنوع استخدامه بشكل لافت بين أنواعه التامة وغير التامة، مما يعكس براعة الزمخشري في توظيف هذه الأداة دون تكلف. كما حضرت فنون بلاغية أخرى كالسجع، والطباق، والمقابلة، والتورية، والطي والنشر المرتب، بدرجات متفاوتة، مع بروز واضح للجناس بوصفه أكثرها استخدامًا، والتورية كأقلها حضورًا.

وظهرت شخصيته البلاغيّة في طريقة الاستعمال للأساليب البديعية، بعيدا عن حشو الكلام، والتكلف، ولا يكاد القارئ لكتاب نوابغ الكلم ينتقل من جملة إلى جملة أخرى في الكتاب؛ إلا ويظن أن فن الجناس هو الغرض الجوهري، وأهم المقصد لوضع

الكتاب. وعلى كل حال، فإن هذا البحث يساهم في بيان قيمة الكتاب البلاغية، خصوصاً، تلك الملامح البديعية في الخطاب القولي البلاغي .

وأخيراً، يوصي البحث جميع الباحثين بالإقدام على الدراسات البلاغية للكتاب من شتى الجوانب مثل: دراسة بلاغية لفن المعانية البيانية، والدراسات الصوتية والدلالية. الله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

المراجع

Abū Mūsā M. M. (1984). *Al-'Ījāzu Al-Balāghi Dirōsatan Tahlīlatan Liturōthi Ahli-'Ilm*. (1st Edition). Misro: Maktabatu Wahbah.

'Abdul-'Azīz J. (2021). 'Uslūbul-Qonqolah 'Indaz-Zamkhoshariyy Fī Tafsīrihi Wabayān Khosōhisihi Wafawā'idihi. *Majallah Markaz Tafsīr Lid-Dirōsat Al-Qur'āniyyah* – Riyād. (16), 43-76.

'Abdul-'Azīz A. (1435 A.H.). Tafsīrul-Kashāf Baynat-Tahliī Wat-Ta'wīl. *Majallatu-'Ulūm Al-'Arobiyyah*, Jāmi'ah Al-Imām Muhammad Bn Su'ūd – Al-Mamlakah Al-Arobiyyah As-Su'ūdiyyah. (33), 82 – 148.

Adh-Dhahabiyy M. H. (1956). *At-Tafsīr Wal-Mufassirūn. (6th Edition)*. Al-Qōhiroh: Maktabatul-Wahbah.

Agaka A. S. (2009). *Al-Balaghoh Al-Qur'aniyyah Lada 'Abdullah Fodi. (1st Edition).* Nigeria-Sokoto: Matba'h Wilayati Sokoto.

'Ahmad A. M. (1994). *As-Sibghu Al-Badī'iyy Fil-Lughoh Al-'Arobiyyah*. Al-Qōhiroh: Matba'tu Dārul-Kitāb Al-'Arobi Litob'atin-Nashr.

Akanbi .A. A. (2024). *Al-Mabsut Fi Dirosati 'Ulumil-Balaghoh. (2nd Edition).* Nigeria-Kashiri: Matba'tul-Jami'ah Al-Fedraliyyah Kashiri.

Al-'Askariyy H. H. (1982). *Kitāb As-Sona'atein*. Lebanon-Beirut: Al-Maktabatu Al-'Asriyyah.

Al-'Askandariyy, A, Wa 'Ananiy, M. (1916*). Al-Wasīt Fil-Adab Al-'Arobī Watārīkhihi*. Misro: Dāru Misro.

Al-Barqīmiyy A. (1993). *Tahrīr Watahlīl Minal-Badī'. (1st Edition)*. Misro: Darul-Arqos Li Toba'ah Wan-Nashr.

Al-Ghoenīyy A. A. (1994). *Al-Kāfī Fil-Balāghoh: Al-Bayān Wal-Badī'i Wal-Ma'āni. (1st Edition).* Al-Qōhiroh: Dārut-Taofīqīyyah.

Al-Hāshimiyy A. (2000). *Jāhirul-Balāghoh. (5th Edition).* Lebanon: Dārul-Fakr.

Al-'Ilorī A. A. (2022). *An-Nāfilah Al-Mardiyyah: Sharhu Durūsul-Balāghoh Al-'Arobiyyah. (1st Edition).* Nigeria-Lagos: Mu'asasah Nūn Wal-Qolam At-Ta'līmiyyah.

Al-'Imāriy, Wa Suwailim. (1988). *Al-'Adab Wa Tārīkhihi Fil-'Isriyyīn: Al-Umawiyy Wal-'Abbāsiyy*. Misro: Al-Hayhatu Al-'Āmmah Lishu'ūni Al-Matōbbi'i Al-Umayriyyah.

Al-Jārim A., Amīn M. (2023). *Al-Balāghoh Al-Wādihah: Al-Bayān Al-Ma'ānī Al-Badī'i.* Lebanon: Dārul-Fikr.

Al-Karhi A. M. (1964). *Al-Badī'u Fil-Hisāb*. Tahqīq 'Ādil, A. Lebanon: Al-Jāmi'ah Al-Labnāniyyah.

Al-Ladīqiyy M. T. (2005). *Al-Mubbasit Fī 'Ulūmil-Balāghoh: Al-Ma'āni Wal-Bayān Wal-Badī'i, Namādhiju Tatbīqiyyah*. Lebanon-Beirut: Al-Maktabu Al-'Asriyyah.

Al-Marōghi A. M. (1993). *'Ulūmul-Balāghoh: Al-Bayān Wal-Ma'āni Wal-Badī'i. (3rd Edition).* Lebnon: Dārul-Kutub Al-'Ālāmiyyah.

Al-Qolqolashandiy A. (1929). *Subhul-'A'asha Fī Kitābatil-Inshā'*. Al-Qōhiroh: Dārul-Kutub Al-Misriyyah.

Al-Qozwayniyy M. (2016). *Al-'Īdōhu Fī 'Ulūmil-Balāghoh. (3rd Edition).*

Lebanon: Dārul-'Arqōm Bn 'Abil-Arqom.

Ar-Rōzī F. (1327 A.H.). *Nihāyatul-'Ījāz Fī Dirōsati Al-'Ī'jāz.* Misro: Dāru Dōd.

Al-Taftazānī, Sa'dud-Dīn. (1330 A. H.). *Al-Mutowwal: Sharhut-Takhlīs 'Alal-Miftāh*. Lebanon: Dārul-Kutub Al-'Ālāmiyyah.

As-Sakaki. (1942). *Al-Miftāh*. Misro: Matba'ah Al-Bābi Al-Halbī.

Az-Zamkhoshariyy M. (1935). *Nawābighul-Kalm. (2nd Edition).* Al-Qōhiroh: Matba'tu Mash-hadi Al-Husainīyy.

Az-Zamkhoshariyy M. (1953). *'Asasul-Balāghoh. (1st Edition).* Al-Qōhiroh: Aolad Aoroqōnid.

Ibn Khilkān A. (1971). *Wafayātul-A'ayān, Tahqīqul-'Ihsān.,* (Vol. 4). Beirut: Daru Sodr.

Luwaisi, Ma'lūf. (1908). *Al-Munjid Fīl-Lughoh Wal-'A'lām. (28th Edition).* Lebanon.: Dārul-Mashriq.

Miftāh S. A. (1942). *Miftāhul-'Afkār. (1st Edition).* Lebanon: Dārul-Kutub Al-'Alamiyyah.

Milyānī A. (2021). Muqowwamātu Al-Balāghoh 'Indaz-Zamkhoshariyy. Kitābul-Kishāf Anumuzija. *Majalah Adabiyyāt,* Jāmi'a Husainah Bin Yū'aliyy AshShaf-Al-Jaz'ir. 3 (1) 40- 53.

Nazāz A. A. S. (2021). Tanaqulāt Az-Zamakhshariyy Al-Balāghoh Fī Sūroti Yūsuf (A.S)-Dirōsatah Tafsīriyyah. *Majallatul-Buhūth Wad-Dirōsat Al-Qur'āniyyah Al-Mamalakah Al-'Arobiyyah As-Su'ūdiyyah*. (16) 49-98.

Qōsim M. A. (2003). '*Ulūmul-Balāghoh: Al-Badī'i Wal-Bayān Wal-Ma'āni. (1st Edition).* Lebanon-Toroblis: Al-Mu'sasah Al-Hadīthah Lil-Kutub.

Sha'batut-Tārīkh.(1967). *Tārīkhul-Madaniyyat Al-'Islāmiyyah*. Al-Khaotūm: Ma'hadut-Tarbiyyah.

Sheikhūn M. (1992). *Al-Balāghoh Al-Wāfiyah. (2nd Edition).* Al-Qōhiroh: Maktabatu Kuliyyāt Al-Azhāriyyah.